

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المحاضرة الخامسة: القواعد الفقهية ١. محمد المكنزي السافري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه أما بعد :

قد سبق لنا أن تكلمنا عن نشأة وتطور القاعدة الفقهية وقد توقف الحديث عند المؤلف الخاص بالإمام أبي عبد الله المقرئ التلمساني المالكي في كتابه القواعد وهذا الكتاب كما قلنا هو كتاب مهم جداً أو يبدو من خلاله اسمه أنه أول من سمي كتابه بالقواعد في المذهب المالكي لأنه إذا تعلق الأمر بكتاب الخشني وجدناه يُسميه أصول الفتيا وإذا تعلق الأمر بكتاب القراني وجدناه يُسميه الفروق أو إضافة هذه التسمية بهذا الاسم لم تكن معهودة إلا عند هذا وعند بن راشد القفصي في كتابه المذهب في ضبط قواعد المذهب أو كتاب قواعد الإمام المقرئ رحمه الله كتاب مطبوع طُبع منه الجزء الأول والثاني وقد حققه الدكتور أحمد بن عبد الله بن حميد وتصدى لتحقيق جزئين منه فقط ولم يُتمه أثم بعد ذلك جاء باحث مغربي قام بتسجيل بقية الأجزاء في دار الحديث الحسنية لكنه لم يُطبع بعد .

ويأتي بعده كتاب مهم جداً وهو كتاب المجموع المذهب في قواعد المذهب لصلاح الدين العلائي الشافعي 761 هـ وهو كتاب مطبوع .

وفي هذا العصر أيضاً صدر كتاب لأبي العباس أحمد بن الحسن الحنبلي المعروف بابن قاضي الجبل الدمشقي 771 هـ ويُسمَّى كتابه بقواعد ابن قاضي الجبل الحنبلي أثم يأتي بعده كتاب الأشباه والنظائر لتاج الدين السبكي الشافعي 771 هـ<sup>1</sup> مباشرة في هذا الوقت أيضاً صدر كتاب الاشباه والنظائر لجمال الدين الإسنوي المصري الشافعي 772 هـ أو هو كتاب مطبوع أو بعد يأتي كتاب المنثور في القواعد الفقهية للزركشي الشافعي 794 هـ وهو أيضاً كتاب مطبوع .

<sup>1</sup> تاج الدين السبكي الإبن صاحب جمع الجوامع 771 هـ وليس تقي الدين السبكي الوالد 756 هـ فتنبه

في هذا العصر بالذات ظهر أيضا كتاب القواعد لابن رجب الحنبلي المسمى : تقرير القواعد وتحرير الفوائد لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي 795 هـ. أوجد أيضا كتاب القواعد في الفروع لشرف الدين عيسى بن عثمان الغزي الشافعي 799 هـ وليس حنبلياً كما ذكر ذلك محمد صدقي البورنو في كتابه الوجيز أو هو كتاب لم يظهر بعد ولا نجدها إلى في كتب الكشافات .

وجد في القرن التاسع الهجري مؤلفات أيضاً أو في بدايته يُصادفنا كتاب الأشباه والنظائر لعمر بن علي المعروف بابن الملقن الشافعي ولد سنة 723 هـ وتوفي سنة 804 هـ وهو كتاب مطبوع

#### نكتة علمية :

-الإمام ابن الملقن الشافعي ولد سنة 723 هـ وتوفي سنة 804 هـ

-الإمام البلقيني ولد سنة 724 هـ وتوفي سنة 805 هـ

-الحافظ العراقي ولد سنة 725 هـ وتوفي سنة 806 هـ

وكلهم توفوا عن عمر ناهز 81 سنة رحمة الله عليهم

ثم جاء بعد الإمام ابن الملقن صاحب أسنى المقاصد في تحرير القواعد لمحمد بن محمد الزبيري الشافعي 808 هـ وكتابه هذا لم يظهر بعد أبعداً نجد كتاب القواعد في فروع الشافعية لتقي الدين الحصري 829 هـ وتُسمى أيضاً بقواعد الحصري ومنهجه يُشبه ترتيب الأشباه والنظائر أوجد كذلك كتاب حواشي القواعد الفقهية للمحب ابن نصر الله الحنبلي 844 هـ وهذه الحواشي قيل بأنها موجودة بل وقيل بأنها اختصار لقواعد الطوفي والعلم عند الله أو كما هو مُلاحظ فالقرن الثامن فيه ضحالة في التأليف إذ أنه ابتداءً منذ أن صدر كتاب المحب بن نصر الله إلى نهاية القرن الثامن حيث نجد كتاب نظم الدخائر في الاشباه والنظائر لعبد الرحمن بن علي الخليلي الشافعي المعروف بِشُقَيْر 876 هـ .

ومع نهاية القرن الثامن نجد كتاب المُسند المُذهَب في قواعد المذهب لابن عضوم التونسي المالكي 889 هـ وهو كتاب لازال مخطوطاً ذكره حسني عبد الوهاب في كتابه العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين .

وبهذا ننهي الكلام عن القرن الثامن الهجري الذي لا بد أن نقف معه وقفة نتأمل فيها وننظر في مناهج هذه المؤلفات وهذه المؤلفات التي نجدها في القرون المتأخرة إلى القرن التاسع نجدها تكتسي أحد ثلاثة مناهج.

### المنهج الأول :

فهناك من انتهج منهجا فقهيا في الحديث عن القواعد فرتب مادته الفقهية ترتيبا فقهيا أي رتبه على أبواب الأبواب الفقهية ابتداء بالعبادات والأنكحة ثم المعاملات ثم الوصايا والمواريث وهذا هو المنهج العام الذي تسير فيه المؤلفات باستثناء النوازل الذي قد يكون لها منهج آخر ولكن فيما يتعلق بموضوع الفقه فهذا هو منهجه العام الذي يسير عليه الفقه في الترتيب الوضعي ويدخل في هذا مجموعة من المؤلفات بما في ذلك مؤلف الإمام أبي عبد الله المقري فقد رتبه ترتيبا فقهيا ومن من غلب عليه هذا المنهج في الترتيب الفقهى أيضا الإمام ابن رجب الحنبلي .

### المنهج الثاني :

وهناك منهج ثان يستند إلى ترتيب القواعد بحسب عمومها وخصوصها وهذا ينطبق على كافة مؤلفات الأشباه والنظائر بدءا بصدر الدين ابن الوكيل مروراً بالأشباه والنظائر للسبكي ولابن الملتن انتهاء بابن نجيم حتى مؤلفات العلائي والإسنوي إذن ترتيب القواعد الفقهية من حيث العموم والخصوص القواعد الكبرى ثم الصغرى ثم الصغيرة ثم الأصغر فهذا هو منهج التعميم والتخصيص في القواعد الفقهية .

### المنهج الثالث :

وهو الترتيب المعجمي ويحمل لواءه أحد شيوخ الشافعية وهو الإمام الزركشي في كتابه المنتور .  
إذن هذه عموما ملامح المنهج في هذه الفترة أهذا من ناحية المنهج أما من الضحالة والكثرة نجد المذهب الشافعي ثم المالكي والحنابلي لكن يفوق المذهب المالكي المذهب الحنبلي في شيء وهو أن مؤلفات المالكية موجودة ومحقة بينما لا نجد عند الحنابلة كتاب القواعد للطوفي وكتاب المحب نصر الله إلا مؤلف ابن قاضي الجبل .

فالمقارنة بين ماهو موجود وغير موجود نجد أن المالكية فعلا أكثر تفوقا من الحنابلة لأن المذهب المالكي في القرن العاشر تفرعت عنه كتب كثيرة في مجال القواعد الفقهية بينما المذهب الحنبلي أصابه شيء من الضمور فتوقف عن التأليف إذن هذه إجمالا بعض الملامح المتعلقة بالقواعد الفقهية في هذه الفترة .

أما في القرن العاشر فنجد في صدارته كتاب القواعد الكلية والضوابط الفقهية لمؤلفه جمال الدين يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي 909 هـ وهو كتاب مطبوع محقق قام بتحقيقه جاسم ابن سليمان الفهيد الدوسري.

بعدها نذكر مرحلة جديدة تواجدت فيها ثلاثة مؤلفات عظيمة كل مؤلف ينتمي إلى مذهب من المذاهب ، و أول هذه الكتب كتاب الأشباه والنظائر للإمام السيوطي 911 هـ وثاني هذه الكتب المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب للزقاق 912 هـ وثالثها كتاب الأشباه والنظائر لابن نجيم 970 هـ وأوقد يُضاف إلى هذه الكتب الثلاثة منظومة الفرائد البهية ولكن عموما فإن هذه الكتب الثلاثة هي التي يحتكم إليها من شاء بعد في كل المذاهب الاربعة .

لو بدأنا بالإمام السيوطي وهو كتاب الأشباه والنظائر وكتابه هذا قفزة نوعية باعتبار أن الإمام السيوطي أتى في هذا الكتاب بما لم تستطعه الأوائل ، فكتابه هذا اعتمد عليه ابن نجيم في تصنيف كتاب الأشباه والنظائر والأهدل في منظومته الفرائد البهية وقد أشار إلى ذلك الأهدل بقوله :

لَخَصَّتْهَا بِعَوْنِ رَبِّي الْقَادِرِ \* مِنْ لُجَّةِ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ

مرورا بالمؤلف الثاني وهو كتاب المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب لأبي الحسن علي بن قاسم الزقاق الفاسي وهو عبارة عن منظومة كما أنه أول مؤلف مغربي نجده ضمن هذه الكتب ، وهو كتاب مهم جدا ولا أدل على ذلك من انشغال العلماء بها ، فقد ألف عنها شرحا ابنه أبو العباس أحمد بن علي بن قاسم 935 هـ وهو شرح لم يتناوله العلماء كما تناولوا باقي الشروح الأخرى فلم ينتشر لقصوره لأن الابن لا يمكن أن يتجرأ على والده ولذلك لم يُذاع كباقي الشروح ، أما الشرح الثاني لهذه المنظومة فهو شرح المنهج المنتخب أبو

العباس أحمد بن علي المنجور 995 هـ وهو مطبوع محقق ، كما نجد أن العلامة ميارة الفاسي 1072 هـ له عملان اثنان على المنظومة أولا قام بتكميلها علما أن عدد أبيات المنظومة 443 بيتا فزاد 600 بيت وثانيا أنه شرح جميع الأبيات بشرح له سماه الروض المبهج بستان فكر المهج على المنهج المنتخب وهو كتاب مطبوع.

وقد اهتم به أحد علماء سوس بهذه المنظومة وهو عبد الواحد بن القاضي محمد بن إبراهيم الأمزوري الهلالي من قبيلة هلاله 1250 هـ في كتابه المسمى بخواتم الذهب على المنهج المنتخب وهذا الشرح مطبوع أيضا وقد اعتنى به الدكتور أحمد نجيب ، ومن الشروح كذلك كتاب شفاء الغليل على المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب للعلامة محمد بن علي اليعقوبي الهلالي السوسي 1296 هـ وهو مطبوع أيضا وقد اعتنى به الفقيه الصوفي سيدي الحسن البعقلي وممن أعتنى به أيضا الدكتور عبد المنعم حميتي .

إذن هذا إجمالا ما يتعلق بالمؤلفات التي ألفت حول المنهج المنتخب وكل ما ذكرنا منها إنما هي مؤلفات مالكية .

أما الكتاب الثالث فهو كتاب الأشباه والنظائر لزين الدين ابن نجيم الحنفي 970 هـ ، وهو اختصار لكتاب الاشباه والنظائر للسيوطي حيث استخرج منه كافة مفردات الفقه وأحكامه كلها وبقيت القواعد مفرغة ثم قام فخدم المذهب الحنفي بناء على قواعد الشافعية ، فالقواعد في أصلها قواعد الشافعية ولكن الفقه فقه الأحناف ، ولذلك قيل أن الاشباه والنظائر لابن نُجيم إنما هو نسخة مصغرة من كتاب الاشباه والنظائر للسيوطي ، وإنما قام ابن نُجيم بهذا العمل لأن المذهب الحنفي استبطء التأليف في القواعد مدة كبيرة جدا تصل إلى ثلاثة قرون تقريبا ولذلك لما جاءت محطة ابن نُجيم أرادت أن تستدرك ما جاء بعدها ، فاختصر فقه الأحناف في قواعد الشافعية .